

## الاستثمار في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها "باكستان نموذجاً"

د. محمد علي غوري

أستاذ مشارك ورئيس مركز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها  
في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية – إسلام آباد

### المقدمة:

لم يعد الاستثمار مقتصرًا على المجالات التجارية البحتة، وإنما تجاوزها إلى مجالات أخرى عديدة مثل المجال السياسي والاجتماعي والثقافي والتعليمي، وأصبحت البضائع المتداولة في هذه المجالات تعامل معاملة السلع التجارية في عالمنا اليوم، ويمكننا أن نقول إنها الآن تستغل لأغراض تجارية بهدف الربح؛ مادياً كان أو معنوياً. ومن ذلك نجد الدول والمؤسسات العالمية والإقليمية تهتم بتعليم لغات بلادها لغير الناطقين بها في شتى بقاع العالم، وتحرص على ذلك لأسباب عديدة منها التجارية.

والدراسات الحديثة تؤكد أهمية عولمة القضايا الثقافية للوصول إلى مقاصد اقتصادية هدفها الربح والاستثمار، ومن هذا المنطلق غزت العولمة الثقافية الغربية كل دول العالم متخذة من اللغة الإنجليزية ولغات أوروبية أخرى مظهراً لها، فترتب على ذلك طمس هوية مجتمعات تلك الدول وصبغها بخصائص النظام العالمي الجديد، وجعلها أسواقاً لترويج بضائعها إحصائياً لسلطتها الاقتصادية. وفي المقابل نلاحظ انحساراً في استعمال اللغة العربية في العالم، حتى في البلاد العربية نفسها، وهذا يعني كساد سوق اللغة العربية، وسبب ذلك أننا لا نعرف كيف نستثمر بضاعتنا القيمة، ولا سيما في البلاد الناطقة بغير العربية.

عندنا في باكستان رغبة شديدة لدى عامة الناس في تعلم اللغة العربية لأسباب كثيرة، أهمها أسباب دينية، وعلى رأسها فهم القرآن الكريم كتاب رب العالمين، وإن كان الهدف الاقتصادي أو التجاري ليس غائباً عن البعض، ولهذا الهدف أشكال كثيرة.

والسؤال هو كيف يمكن أن نستثمر تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وخاصة للناطقين باللغة الأردية في باكستان على مستوى الأفراد والمؤسسات والدولة لتحقيق أهداف اقتصادية بمفهومها العام، أقصد تحقيق الأرباح المادية والمعنوية. والمقارنة في هذا الصدد بين الواقع، وهو غير مرضى -في نظري على الأقل- والمستقبل الذي نطمح إلى تحقيقه في المستقبل القريب والبعيد بإذن الله تعالى.

سأحاول من خلال هذا البحث أن أبرز حجم المشكلة وأن أقترح بعض الحلول التي قد تساهم في إعادة مكانة اللغة العربية في بلادنا، وإن كان عن طريق التجارة بها، ولأهداف اقتصادية، وما أحلى أن نأخذ أجراً على تعليمها، فنجمع بين ثوابي الدنيا والآخرة.

سأتحدث أولاً عن أهمية اللغة العربية في شبه القارة الهندية وفي باكستان بشكل خاص، وعن المؤسسات التي اهتمت قديماً وتهتم اليوم بتعليم اللغة العربية، وعن أهم الدوافع التي تدفع الباكستانيين إلى تعلم اللغة العربية. ثم عن العولمة اللغوية في العالم، وكيف تسعى دول العالم اليوم إلى تسويق لغاتها، والطرق والوسائل التي تسلكها في هذا السبيل. وسأقارن في هذا الصدد بين تسويق اللغات الأوروبية الحديثة وعلى رأسها اللغة

الإنجليزية واللغة الفرنسية وبين تسويق اللغة العربية بين الواقع والمأمول، وفي نهاية البحث سأحاول تقديم بعض المقترحات بشأن كيفية استثمار اللغة العربية للناطقين بغيرها في باكستان خاصة.

### أهمية اللغة العربية في حياة المسلمين:

اهتم المسلمون باللغة العربية لكونها لغة كتاب ربهم، فسارعوا إلى دراستها والاهتمام بها، وحين انتشر الإسلام في أنحاء المعمورة في البلاد المفتوحة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، شاع اللحن، فسارع العلماء إلى ضبط المصحف ووضع علمي النحو والصرف وغيرهما من علوم العربية.

كان الدافع الديني -أكثر من غيره- وراء الاهتمام باللغة العربية وتطورها وازدهارها وانتشارها في كل العالم. يقول أبو منصور الثعالبي: "من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كينبوع للماء والزند للنار".<sup>1</sup>

من سنن الله أن اللغات تقوى بقوة أصحابها وتضعف بضعفهم، لذلك كانت اللغة العربية قوية حين كان المسلمون أقوياء وكانوا خير أمة، وحين ضعفوا واستكانوا وأصبحوا دويلات، وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون، تكالبت عليهم الأمم، وتآمر عليهم أعداء الإسلام، ومزقوهم كل ممزق، وتداعوا عليهم كما يتداعى الأكلة إلى قصعتهم، وكانوا يتحينون كل فرصة سانحة لينقضوا عليهم وعلى دينهم منذ أيام الحملات الصليبية حتى الآن مروراً بفترة الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين. وكان إضعاف اللغة العربية ومحاربتها من أهم أسلحة التي استخدمها الاستعمار لتحقيق أهدافه الدنيئة، ليحول بين المسلمين ودينهم المرتبط بهذه اللغة ارتباطاً لا ينفك. وهذا ما حدث في كثير من البلاد الإسلامية ومنها شبه القارة الهندية التي خضعت كلها لحكم المسلمين لثمانية قرون تقريباً حتى مجيء الاستعمار الإنجليزي عام 1858م وهو في الحقيقة استخرا ب وليس استعماراً. وحين خرج منها في عام 1947م بعد حكم دام قرابة مائة عام كان المسلمون قد أصبحوا أضعف الأقوام والأمم وأفقرها في هذه المناطق، بينما حظي الهندوس بمكانة خاصة في العهد الإنجليزي الظالم، كما حاولوا إضعاف اللغة العربية وإحلال اللغة الإنجليزية محلها، وقد نجحوا في مسعاهم إلى حد بعيد.

كما أن الاهتمام باللغة العربية من قبل المسلمين -من العرب ومن غير العرب- كان لدوافع دينية، فكل ذلك كانت أهداف الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين دينية محضة، وإن بدت اقتصادية أو سياسية في الظاهر، فقد كان الإسلام يقلق مضاجعهم ويهز عروشهم ويذهب بسطانهم على الناس، لأنه كان يعمل على إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار.

يجب أن ندرك جيداً أن اللغة العربية هي لغة الإسلام والمسلمين جميعاً وليست خاصة بالعرب، فهي لغة الدين الذي دان به المسلمون شرقاً وغرباً، سواء من العرب أو من غيرهم. وحين فتحت البلاد المختلفة مثل مصر

<sup>1</sup> - "فقه اللغة وسر العربية"، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الملقب بأبي منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، 2008م، بيروت، ص25.

والشام والعراق وبلاد ما وراء النهر والأندلس دخل أهلها في الإسلام، وأقبلوا على اللغة العربية يتعلمونها حباً في الدين الإسلامي الذي أنقذهم من الضلال، ونقلهم من الظلمات إلى النور، فكان منهم كبار العلماء في العلوم العربية مثل الإمام عبد القاهر الجرجاني وسيبويه والخوارزمي والجاحظ والقرطاجني وآخرون، وأصبحوا حجة فيها يرجع إليهم -في تخصصاتهم- حتى العرب أنفسهم، وبرز منهم أئمة ألفوا باللغة العربية في التفسير والحديث والفقه وفي العلوم الدينية الأخرى كتباً تعد مصادر أساسية يرجع إليها المسلمون -شرفاً وغرباً- حتى اليوم.

### اللغة العربية في شبه القارة الهندية:

مم لا شك فيه أن اللغة العربية من شعائر الإسلام التي أمر المسلمون بالمحافظة عليها، وقد عدها الإسلام من تقوى القلوب، انطلاقاً من قوله تعالى: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" (سورة الحج:32)، وبناء على ذلك أصبحت المحافظة عليها مسئولية كل مسلم من العرب ومن غيرهم، الأمر الذي أدركه المسلمون الأوائل في شتى بقاع العالم وفي شبه القارة الهندية أيضاً.

تعد الهند واحدة من بلاد العالم التي وصلها الإسلام مبكراً عبر الفتوحات الإسلامية الأولى وعبر العلاقات التجارية البرية والبحرية، فقد فتحها القائد المسلم الشاب محمد بن القاسم الثقفي أثناء ولاية عمه الحجاج بن يوسف الثقفي عام 92هـ، وسيطر على بعض أجزائها، ثم توسعت الفتوحات في زمن الأمويين والعباسيين فيما بعد، ولكن هذه الفتوحات توقفت بمجيء الخليفة العباسي المهدي حين اشتد النزاع بين القبائل العربية التي هاجرت إلى هذه البلاد خلال المائة الأولى من دخول الإسلام فيها، ورغم ذلك استمرت الدعوة الإسلامية، واستمر الإسلام ينتشر فيها عن طريق الدعاة والعلماء والتجار العرب المسلمين. ومن الجدير بالذكر أن جذور العلاقات التجارية بين الهند والعرب قديمة جداً تعود إلى ما قبل الفتح بسنين طويلة.

بعد الفتح استقرت الثقافة الإسلامية في المنطقة بشكل رسمي في أرجاء كثيرة من الهند، وكانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للحكام،<sup>2</sup> وفي المراكز العلمية التي سرعان ما انتشرت في المناطق المفتوحة، وهي أصل ما يعرف اليوم بالمدارس الدينية. بدأ استخدام اللغة العربية في الهند منذ الأيام الأولى للفتح الإسلامي للهند، وأول نقش عثر عليه في الهند هو نقش المسجد الجامع في مدينة "بنهور" بالسند المؤرخ عام 107هـ استخدم فيه الخط العربي.<sup>3</sup> حظيت اللغة العربية بمكانة خاصة بين اللغات الموجودة في مناطق كثيرة من السند والبنجاب التي دخل أهلها في الإسلام، لكونها لغة القرآن الكريم ولغة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ولسان الدعوة الإسلامية ولسان المنتصر آنذاك، فكان من الطبيعي أن تنتشر مع انتشار الإسلام وتعاليمه الراقية في هذه المناطق، وكما انتشر الإسلام انتشرت اللغة العربية على نطاق واسع بين سكان البلاد، فقد كان الهنود الذين أسلموا يتعاملون مع العرب الحكام باللغة العربية. يقول الإصطخري المتوفى سنة 328هـ: "ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية".<sup>4</sup> كما كانوا يفتخرون بارتداء زي العرب، ويحاولون محاكاتهم في أمور كثيرة حباً في الدين الإسلامي، كما نفع اليوم حين نقلت العرب ونحاكيه في كل

<sup>2</sup> - وضح الدكتور مظهر معين هذه القضية بالتفصيل في مبحث من كتابه "حاضر اللغة العربية"، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، 2008م. من صفحة 211 إلى 226.

<sup>3</sup> - "الخط العربي وأثره الحضاري" د. محمد يوسف صديق، مقال منشور على الشبكة الدولية في موقع "نادي الإحياء العربي".

<sup>4</sup> - "المسالك والممالك"، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي (ت:346هـ)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص32.

شيء. ويؤكد الأستاذ خورشيد أشرف إقبال الندوي أن انتشار اللغة العربية في الهند على نطاق واسع كان في القرن الرابع الهجري حين وصلت أسر مثل المماليك والخلجيين والتغلقيين والسادات واللوهيين إلى سدة الحكم في الهند. وأن فترة حكم هذه الأسر تمتاز بتقدم ملموس في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، حيث عُني كثير من ملوكها وأمرائها بتأسيس المدارس ومراكز التعليم، وبذل العلماء جهوداً جبارة في توسيع نطاق اللغة العربية حرصاً على لغة القرآن والسنة، فأثمرت جهودهم وأنت بنتائج مبشرة.<sup>5</sup> وكان لجهودهم هذه آثار عظيمة ودور كبير في نشر اللغة العربية في ربوع تلك البلاد.

قام المسلمون في شبه القارة الهندية بدور كبير في المحافظة على لغة القرآن، فقدموا للعالم الإسلامي تحفاً علمية نادرة وعظيمة بهذه اللغة العظيمة، ولم يكن اعتناؤهم بها أقل من غيرهم، فمنذ أن دخل الإسلام هذه البقاع أخذت اللغة العربية تكتسح الساحات فيها، وأخذت تكسب أرضاً جديدة كل يوم على حساب اللغات المحلية الموجودة قبلها. اضمحلت أمام اللغة العربية كل اللغات المحلية في البلاد المفتوحة، حتى أن كثيراً من مناطق السند والبنجاب الغربيتين - كما ذكرت قبل قليل - كان أهلها يتحدثون بهذه اللغة وكانت فيها مراكز علمية كبيرة وكثيرة. يتحدث الدكتور نبيل فولي عن الوضع في شبه القارة الهندية فيقول متدثاً عن العربية: "بقيت في كل الأحوال لغة العلوم الدينية والدينية الأولى طوال فترات التفوق الحضاري للمسلمين، وكانت تصنع لنفسها في بعض المناطق خنادق خاصة بها في أوساط العلماء والطلاب وسط خضم من اللغات الأعجمية التي تأثرت بها تأثراً لم يتوقف عند حدود استعارة الألفاظ، بل استعارت منها ألواناً أدبية متعددة أيضاً".<sup>6</sup> كثرت المؤلفات العربية لعلماء شبه القارة الهندية بشكل ملفت للنظر في العلوم الشرعية والعربية، فظهرت شروح الصحاح السنة وغيرها من كتب الحديث وبعض المؤلفات في بعض المسائل الفقهية الدقيقة، كما أنجبت شبه القارة شعراء نبغوا في نظم الشعر بالعربي.

ولكن الذي يدعو إلى الأسف أن اللغة العربية لم تصبح لغة هذه البلاد كما أصبحت لغة أهل مصر والشام والعراق وحتى بلاد الأندلس البعيدة، وكان ذلك لأسباب كثيرة أهمها عدم اتخاذ الفاتحين العرب من هذه المناطق مستقراً لهم، مثلما اتخذوا العراق ومصر والشام وشمال إفريقيا والأندلس البعيدة عن جزيرة العرب موطناً لهم، لجمال الطبيعة في هذه المناطق ولصعوبة الجو وحرارته في السند وجنوب البنجاب التي فتحها العرب وحكموها منذ أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي ولثلاثة قرون تقريباً، ولكنهم لم يتخذوها موطناً يستقرون فيه. يقول الدكتور نبيل: "حين انطلق الإسلام في أرجاء العالم التي سعدت به لم ينطلق وحده بل أخذ اللغة العربية في صحبته، يتلى بها القرآن الكريم، وتروى بها السنة الشريفة، ويتخاطب بها الفاتحون، ولولا السياسة وتقلباتها وأمور أخرى تتعلق بضعف كثافة الهجرات العربية وتغير لغة الفاتحين في الأجيال التالية لتعربت مناطق من العالم أكثر اتساعاً مما نجد الآن".<sup>7</sup>

ومن أسباب عدم تمكن العربية من شبه القارة الهندية منافسة اللغة الفارسية لها، فحين جاء المغول من أفغانستان وإيران عملوا على نشر اللغة الفارسية، وكان ذلك على حساب اللغات الأخرى الموجودة في الهند، ومنها اللغة العربية.

<sup>5</sup> - "اللغة العربية في الهند عبر العصور"، خورشيد أشرف إقبال الندوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، عام 2008م، ص35.

<sup>6</sup> - "الشعر العربي في شبه القارة الهندية"، د. نبيل فولي، مقال منشور في مجلة الوعي الإسلامي الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، العدد 532، بتاريخ 3 سبتمبر 2010م.

<sup>7</sup> - المرجع السابق.

وكان لظهور اللغة الأردنية المائلة إلى السهولة أثر كبير على تأخر اللغة العربية في هذه البلاد.<sup>8</sup> أما اللغة الإنجليزية فقد دخلت البلاد دخول الفاتحين، وذلك حين سيطر الاستعمار البريطاني على البلاد سيطرة تامة بعد انتصاره الساحق في عام 1857م. وقد حارب هذا الاستعمار اللغة العربية إبان فترة احتلاله الغاشم، وأبعد أصحاب الثقافة الإسلامية ومن كانت لديه خلفية في اللغة العربية من المجالات الحيوية، وخاصة من مجال التعليم والقضاء، وقدموا عليهم أصحاب الثقافة الغربية ومن كانت لديه خلفية في اللغة الإنجليزية، وتأثير ذلك باق إلى يومنا هذا، فمن يجيد اللغة الإنجليزية اليوم في باكستان يجد عملاً بسهولة، كما يحظى بمكانة لا يحظى بها الآخرون ممن لا يجيدونها، أما العربية فأصبحت -كما يقال- لا تطعم خبزاً. يقول الدكتور مظهر معين: "وتمت سيطرة الاستعمار البريطاني في باكستان وشبه القارة كلها بعد أن سقطت الحكومة المغولية المسلمة وفسلت "حرب الاستقلال" أو "الثورة الشعبية" سنة 1857م، وكانت نقطة التحول في تاريخ الهند الإسلامي، فأخرجت اللغة العربية والفارسية من دواوين الحكومة وفرضت عليها اللغة الإنجليزية المكتوبة بالأبجدية اللاتينية والمتأثرة باللغتين اليونانية واللاتينية، كما استبدلت المحاكم الشرعية بالمحاكم الإنجليزية، فجعلت اللغة الإنجليزية لغة أساسية في النظام التعليمي والقانوني الجديد، فأصبح المسلمون الناطقون بالعربية والفارسية والمحلية غير مثقفين في نظر المستعمرين، وحدث ذلك في لمح البصر، وبكت عليهم السماء والأرض".<sup>9</sup>

ورغم هذا استمرت المراكز العلمية تؤدي دورها في مناطق متعددة من شبه القارة الهندية في نشر اللغة العربية؛ لغة القرآن، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والعلوم الدينية. وهذه المراكز العلمية أصبحت تعرف فيما بعد باسم المدارس الدينية، أو ما يسمى عندنا بالدرس النظامي، وهذه المدارس تهتم بالعربية إلى جانب الفارسية والأردنية الناشئة، تدرس فيها مواد النحو والصرف والبلاغة والأدب وبعض المواد الأخرى المتعلقة بالعربية مثل الترجمة، إلى جانب العلوم الدينية مثل التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه وما إلى ذلك، ولكن -للأسف الشديد- تقرأ متون هذه الكتب بالعربية، ثم تشرح باللغات المحلية المختلفة، لذلك بقيت اللغة العربية وسيلة لفهم الكتاب والسنة وكتب التراث، ولكنها لم تصبح لغة التخاطب، وبقيت لغة غير حية. وهكذا بقيت بعيدة عن عامة الشعب الذي كانت تتنازع لغات محلية كثيرة. ومع دخول الاستعمار فتحت مدارس عصرية تدرس العلوم الحديثة واللغة الإنجليزية، وأخذت هذه المدارس مع الزمن تنافس المدارس الدينية، بل سحبت البساط من تحتها لأسباب كثيرة منها التآمر على لغة القرآن، ومنها تقصير المسلمين في شبه القارة الهندية وضعفهم، حيث كانت المناهج المعتمدة في تدريس العلوم الدينية واللغة العربية في هذه المدارس قد تقادم عليها العهد، وأكل عليها الدهر وشرب، فكان ذلك من أسباب تأخر المسلمين في هذه البلاد، ولأجل ذلك أشيع بينهم أن اللغة العربية صعبة فقصروا في تعلمها وتعليمها.

ومن جهة أخرى حين دعا المستعمر البريطاني الشعب الهندي إلى تعلم اللغة الإنجليزية صدرت بعض الفتاوى التي تدعو المسلمين إلى عدم تعلمها، وأجازوا للبعض بأن يتعلمها ليؤمنوا مكر الإنجليز الذين كانوا يتربصون بأهل البلاد -وخاصة المسلمين- الدوائر، أما أن ينصرف الناس جميعاً إلى تعلم هذه اللغة ففي ذلك خطر كبير على كيان الأمة الإسلامية، لأن اللغات في نظر هؤلاء -وهذا حق- ليست مجردة، فهي تحمل

<sup>8</sup> وكانت نتيجة اختلاط لغات كثيرة أهمها الفارسية -التي تعد أم الأردنية- والسانسكريتية -وهي لغة الهند القديمة- والتركية والعربية، وكلمة "أردو" تعني معسكر باللغة التركية.

<sup>9</sup> - "حاضر اللغة العربية"، د. مظهر معين، ص220.

معها عقائدها وعاداتها وتقاليدها التي نشأت تلك اللغات في ظلها، فإذا انكب المسلمون جميعاً على اللغة الإنجليزية يتعلمونها دخلت العقائد الغربية وعاداتهم وتقاليدهم المتصلة بها إلى عقر دارهم من أوسع أبوابها، والأمة التي تفرط في لغتها تفرط في أساس وجودها، لأن اللغات أوعية لثقافات أهلها وحضاراتهم. وما حدث بعد ذلك يؤكد أهمية تلك الفتاوى ويبررها، ويبرز وعي أولئك العلماء بحقائق الواقع، ويكشف عن نظرهم الثاقبة للمستقبل.

ويحس كثير من الباكستانيين في الآونة الأخيرة بأهمية اللغة العربية لأسباب كثيرة أهمها السبب الديني وإن كان السبب الاقتصادي ليس غائباً عنهم، فظهرت كتيبات تركز على تعليم اللغة العربية، ولكن أغلبها لم يصل إلى المستوى اللائق أو الملائم لتحقيق الهدف المنشود، لأسباب كثيرة أهمها أن أكثر الذين قاموا بتأليف هذه الكتيبات لم يكونوا مؤهلين لهذا العمل، وذلك لأن بعضهم كان من العرب الذين لا يعرفون طبيعة البلد ولا عاداتهم اللغوية والاجتماعية ولا طرق تفكيرهم، فلذلك ألفوا تلك الكتيبات لأغراض دينية بحتة غير مفرقين بين الحاجات المختلفة للمتعلمين، وأغلب هذه الكتيبات ألفت في البلاد العربية، ثم نقلت إلى شبه القارة الهندية. وبعض الذين ألفوا مثل هذه الكتيبات كانوا من أهل شبه القارة من الهند والباكستانيين، وهؤلاء رغم معرفتهم لمشاكل أهل هذه البلاد وطبيعتهم وعاداتهم اللغوية وتقاليدهم الاجتماعية، فإنهم كانوا أنفسهم يعانون من ضعف في اللغة العربية، ولم يكونوا بمستوى العلماء السابقين في هذه المنطقة، وفاقد الشيء لا يعطيه كما نعلم. وهكذا لم تغن هذه الكتيبات، ولم ترفع مستوى اللغة العربية بقدر ما حققه الاتصال المباشر والممارسة العملية لهذه اللغة مع أهلها من خلال الاتصال بهم في بلادهم بعد أن سافر بعض الباكستانيين إلى البلاد العربية للدراسة.

خلاصة القول في هذا الشأن أن الكتب التي ألفت في باكستان بهدف تعلم التحدث باللغة العربية لم تكن مناسبة ولم تحقق الهدف المطلوب منها لأنها لم تراع أصول تعليم اللغات ولا طرق تعليمها، ولم تضع نصب عينها الأغراض الخاصة التي تهتم بها الدراسات الحديثة، ثم إنها لم تصدر عن مؤهلين لهذه الأغراض الخاصة.

### اللغة العربية والمؤسسات التعليمية في باكستان:

تحتل اللغة العربية مكانة خاصة في قلوب الباكستانيين لارتباطها الوثيق بالثقافة الإسلامية وبالقرآن بشكل خاص، لذلك توجد في اللغة الأردية واللغات المحلية الأخرى مثل: البنجابية والسندية والبلوشية والبشتوية كثير من المفردات العربية، ففي اللغة الأردية من أربعين في المائة إلى ستين في المائة من الكلمات العربية على اختلاف الإحصائيات.<sup>10</sup> ومن مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغات المحلية استعمالها للخط العربي، واستخدامها للكلمات والتراكيب العربية بكثرة.<sup>11</sup>

وترجع رغبة الباكستانيين في تعلم اللغة العربية إلى عمق العاطفة الدينية لديهم، وهذه الرغبة كانت الدافع الأكبر على قيام دولة باكستان -وتعني الأرض الطاهرة- وكان استقلالها عن بريطانيا وانفصالها عن الهند عام 1947م، وهذا الأمر كان له أثر كبير على إقبال الناس على القرآن الكريم قراءة -وتسمى عندنا "ناظرة"- وتعلماً وحفظاً، ففي باكستان والهند أعداد كبيرة من حفاظ القرآن الكريم تتجاوز أية دولة أخرى،

<sup>10</sup> - "الباكستانيون يقبلون على اللغة العربية لدوافع دينية"، مهيبوب خضر، مقال منشور على الشبكة الدولية في موقع "إسلام ويب".  
<sup>11</sup> - "واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لأغراض خاصة في جامعة الملك سعود"، د. محمد بن إبراهيم الفوزان، بحث منشور في كتاب المؤتمر العالمي الرابع في تعليم اللغة العربية وآدابها لأغراض خاصة (الجزء الثاني)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مايو 2013م، ص 145. و "حاضر اللغة العربية، د. مظهر معين، ص 220.

علاوة على ما اشتهر بين الباكستانيين بأن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة، كما ورد في الحديث الذي لم تثبت صحته.<sup>12</sup> وانتشار اللغة العربية في باكستان لا يعود إلى رغبة المتدينين من الشعب فحسب، بل تتعدى إلى بعض الحكام من أصحاب الميول الدينية مثل الجنرال ضياء الحق الذي أمر عام 1978م بتعليم اللغة العربية كمادة أساسية في جميع المراحل الدراسية بدءاً من الصف الأول حتى الصف العاشر، ولكن المنفذون لهذا الأمر من البيروقراطيين قصره على ثلاثة مستويات أو مراحل فقط، تبدأ من الصف السادس حتى الصف الثامن، وفي عهد الحكومات التالية اقتصر تدريس هذه اللغة على مرحلة واحدة أو مستوى واحد فقط وهو الصف السادس، وهذه المادة اليتيمة اليوم لا يهتم بها أحد ولا تحمل أي مضمون حقيقي يفيد الطلاب. ومن انجازات الرئيس الراحل ضياء الحق إنشاء الجامعة الإسلامية العالمية في العاصمة عام 1980م التي تعتمد على هذه اللغة في عدد من التخصصات، وخاصة في الكليات الأساسية مثل كلية اللغة العربية وكلية الشريعة والقانون وكلية أصول الدين، علاوة على تدريسها مادة إجبارية في باقي كليات الجامعة وأقسامها، حتى العملية منها كمتطلب عام. كما أنشئت أقسام للغة العربية في معظم جامعات باكستان؛ الحكومية منها والأهلية. وعلى الصعيد الشعبي قامت المدارس الدينية المنتشرة في طول البلاد وعرضها، والتي يزيد عددها عن عشرين ألف مدرسة، بدور كبير في تعليم اللغة العربية والأدب العربي فيدرس فيها الطلاب النحو والصرف والبلاغة والأدب،<sup>13</sup> وكان كما أسلفت- للبعثات التي أرسلت إلى البلاد العربية المختلفة للدراسة، وعودة أصحابها حاملين الشهادات العليا والعلم الغزير واللغة العربية، دور كبير في الارتقاء بهذه اللغة في باكستان. هذا ويستغل الباكستانيون فرصة وجود العرب في باكستان ليتعلموا منهم أي قدر يتيسر لهم من اللغة العربية، وذلك بشوق عظيم ورغبة شديدة، وذلك بسبب القرآن الكريم ومكانته في قلوبهم. وهنا لا بد من الإشادة بدور المؤسسات العربية التي تأسست خلال السنوات الثلاثين الماضية في باكستان، التي فتحت عدة مراكز ومعاهد لتدريس اللغة العربية، ولتحقيق هذا الغرض وفرت عدداً لا بأس به من المدرسين العرب المتخصصين، وأقامت دورات لتعليم اللغة العربية في مختلف أرجاء البلاد، كما أقامت دوراً ومدارس للأيتام اعتمدت فيها المناهج العربية، وخاصة في مدينة "بيشاور" والمدن المجاورة. كان لهذه المؤسسات والمدارس دور كبير في نشر الوعي الديني في باكستان ومواجهة مد العلمانية الذي بدأ يتسرب إلى الشعب الباكستاني. ولكن أكثر هذه المؤسسات أغلقت لأسباب سياسية، مما أدى إلى تراجع اللغة العربية في باكستان خطوات إلى الوراء بعد أن كانت قد حققت بعض التقدم، وهذه السياسات التي اتبعتها الحكومات المتعاقبة في باكستان كانت ضمن منظومة دولية هدفها التآمر على الإسلام وعلى لغة الإسلام.

تتقصنا في باكستان مؤسسات خاصة بتعليم اللغة العربية لأهداف تجارية، أو بالأحرى تلك التي تجمع بين خدمة الدين ونشره وفهم القرآن وبين الهدف التجاري والربح المادي. الأمر الذي لا بد منه لمواكبة العصر ومراعاة لمتطلبات العولمة، حيث لم يعد الدافع الديني كافياً، ثم إن هذا الدافع لا يوجد عند الجميع. وسبب عدم إقبال الناس على تعلم اللغة العربية بالأجر، أي مقابل دفع أجر، أنه رسخ في أذهانهم أن تعليم اللغة العربية

<sup>12</sup> - ونصه كالتالي: "أحبوا العربية لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي" رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وهذا الحديث موضوع، فقد حكم عليه ابن الجوزي والذهبي بالوضع، وأدرجه الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة"، المجلد الأول، المكتب الإسلامي، ط4، 1398هـ، تحت رقم 160، ص189، واصفاً إياه بأنه موضوع.

<sup>13</sup> - تحدث الدكتور محمود محمد عبدالله بالتفصيل عن دور المؤسسات التعليمية في نشر اللغة العربية في باكستان في الباب الأول من كتابه "اللغة العربية في باكستان، دراسة وتاريخاً"، من منشورات وزارة التعليم الفيدرالية بإسلام آباد، ط1، 1984م، من ص81-198.

كتعليم الدين، فيجب عدم أخذ الأجر على تعليمها، أو أن ذلك غير مناسب، كما أن أغلب هذه المؤسسات لا تشوق المتعلمين بالقدر الكافي ليضحوا بأموالهم ووقتهم لتعلم هذه اللغة.

### دوافع تعلم اللغة العربية في باكستان:

تنقسم برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بشكل عام إلى نوعين: برامج لتعليم العربية للحياة، وهي برامج عامة للجمهور دون تمييز بين الدوافع المختلفة التي من أجلها يتعلم الناس العربية، والنوع الثاني برامج لتعليم العربية لأغراض خاصة وهي برامج نوعية ذات طبيعة خاصة ولأناس ذوي الحاجات الخاصة.<sup>14</sup> وبرامج النوع الثاني هي التي يجب أن نهتم بها في باكستان أكثر، سواء كانت لتحقيق أهداف دينية أو اقتصادية.

لا شك أن تسعين في المائة من مسلمي العالم يتعلمون اللغة العربية اليوم لأغراض دينية، ونسبة الباكستانيين الذين يتعلمون اللغة العربية لأغراض دينية وخاصة لغرض فهم القرآن أكثر من ذلك،<sup>15</sup> ويمكننا إدراك ذلك من أسماء الكتب التي تعلم اللغة العربية فنجد مثلاً كتاباً باسم "لغة القرآن" وآخر باسم "لسان القرآن" وهكذا. ولكن هذه الكتب رغم ما توحى إليه من أنها تعلم اللغة العربية لغرض خاص فإنها بعيدة كل البعد عن روح هذا النوع من التخصص، وتحتاج إلى أن يتولى أمرها متخصصون يدركون كنهه، فلا فرق بين هذه المناهج ومناهج تعليم اللغة العربية لأغراض عامة سوى حشد هائل من الآيات القرآنية، وتركز على قواعد النحو والصرف، والأدهى أنها تبدأ عادة بقواعد الصرف قبل النحو، فيضطر الطالب إلى أن يحفظ هذه القواعد عن ظهر قلب دون فهم، وهذا منهج خاطئ في تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، وقد نسي هؤلاء أن القدماء وضعوا تلك المناهج لمن كانت العربية لغتهم الأم.

ثم إن معظم هذه الكتب ومعظم المعلمين الذين يدرسون اللغة العربية في باكستان يعتمدون في تدريسهم على لغة وسيطة هي في الغالب اللغة الأردنية، وأحياناً تكون اللغة الإنجليزية، وهذه الطريقة تسمى بطريقة الترجمة، وهي تختلف عن الطريقة المباشرة، الأمر الذي يبطل من عملية تعلم اللغة العربية، لأن تركيز المتعلمين يبقى على اللغة التي يعرفونها وهي اللغة الأردنية، ولا يجتهدون في تعلم اللغة الجديدة وهي اللغة العربية، وإن أحبوا.

ومن الأغراض الخاصة التي يجب أن ننصب إليها في باكستان الغرض التجاري أو الغرض الاقتصادي بالمفهوم الواسع للغرض الاقتصادي، وليس بالمفهوم الضيق المنحصر في تحقيق ربح خاص لمؤسسة أو أفراد معينين.

غزت الصين العالم عن طريق الاقتصاد، فهي لم تهتم ببناء قوة عسكرية بقدر اهتمامها ببناء اقتصاد قوي على أساس الصناعة بالدرجة الأولى ثم التجارة، فقد أدركت جيداً أننا نعيش اليوم عصر التنافس الاقتصادي، ولم يعد للقوة العسكرية تلك الأهمية التي كانت لها في العصور الماضية. ونظراً لكونها من الدول القوية اقتصادياً أخذ الناس في العالم يتعلمون اللغة الصينية حتى يتمكنوا من التعامل مع هذه القوة النامية، أليست الصينية لغة المنتصر والمهيمن؟ وهذه سنة الحياة، فحين كانت اللغة العربية لغة المنتصر كان العالم يتلهف

<sup>14</sup> - "تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة في ظل تحديات العولمة"، د. ريان بنت سالم المنذري، بحث منشور في كتاب المؤتمر العالمي الرابع في تعليم اللغة العربية وآدابها لأغراض خاصة (الجزء الأول)، ص 186.

<sup>15</sup> - "تجربة المنهج في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض" للدكتور عبد الرحمن حسين، بحث منشور ضمن "وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، الجزء الثالث، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1985م، ص 67.



إلى تعلمها. ثم أن الصين ليس لديها تكبر كالذي نراه عند بعض المتعصبين للغاتهم، فهي الآن تعلم أبناءها جميع لغات العالم في جامعاتها ومعاهدها في كل مدن الصين، ولا تكتفي بذلك بل ترسلهم إلى شتى دول العالم ليتعلموا اللغات الأخرى من أفواه أصحابها مباشرة، ولا تعباً بما يكلفها ذلك من أموال، لأنها تعدها استثماراً، يعود إليها في النهاية بفائدة كبيرة، وهذه هي التجارة، وهي -أي الصين- سيدة العالم في التجارة، وتعرف طرقها ومسالكها. وخير دليل على ذلك أن الصين ترسل -منذ سنوات- أبناءها من المسلمين وغير المسلمين إلى الدول العربية التي لا يجدون كثير عناء في دخولها مثل مصر ليتعلموا اللغة العربية، بل حتى إلى باكستان، وخاصة إلى الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، لأن الجو فيها عربي إلى حد، ففيها عدد كبير من الأساتذة العرب من مصر والسعودية والدول العربية الأخرى، كما أن المناهج في الكليات الأساسية الثلاثة فيها باللغة العربية، ولديها برامج لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في مركز خاص، وهو مركز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الذي يتشرف كاتب هذا البحث برئاسته منذ عام 2010م. وهذا المركز أصبح مكتظاً بالطلاب الصينيين من المسلمين وغير المسلمين الذين ينسلون إليه من مختلف محافظات الصين ليتعلمون فيه اللغة العربية، والأمر راجع إلى الجو العربي العلمي الذي يتميز به هذا المركز، وإلى سهولة دخولهم باكستان، فثمة حدود مشتركة بين البلدين، كما هناك طريق برى يربط بينهما.

هذا يقودنا إلى سؤال هام وعام في نفس الوقت، ألا وهو لما يتعلم الناس لغات الآخرين أو لغات الآخرين؟ من أهم الأسباب التي تدعو الناس إلى تعلم اللغة الثانية أو اللغات الأخرى هو المحتوى أو المعرفة العلمية التي تحتويه تلك اللغة، فإذا كانت لغة ما لغة علم وثقافة وتقنية تهافت الناس إلى تعلمها ولو اضطروا إلى التضحية بأعلى ما عندهم. يقول الأستاذ عبد السلام سفاقي: "ومن أبرز آثار الحروب الصليبية في أوروبا أن أخذت بعض مدن أوروبا تنشئ مدارس لتعليم اللغة العربية إذ أدركوا أن تعلم اللغة العربية أمر ضروري للوصول لأهدافهم الدينية والاقتصادية وكان هذا سبباً في إهمال اللغة اللاتينية والإغريقية إلى حد كبير وإحياء اللغات الشعبية، وصنفت كذلك المعاجم العربية الأوروبية لمعاونة المترجمين والمتعلمين".<sup>16</sup>

ومن الأسباب التي تجعل الناس يتعلمون لغات الآخرين، أنها لغات المنتصرين المهيمنين، فحين كانت اللغة العربية هي لغة المنتصر أقبل الناس على تعلمها، كما حدث في الأيام الأولى من الفتوحات الإسلامية، فقد تعلمها العراقيون والمصريون والشاميون وبلاد شمال أفريقيا وحتى بلاد الأندلس البعيدة، وكذلك بلاد الشرق إلى حدود كاشغر، فانتشرت اللغة العربية في هذه المناطق لأنها كانت لغة المنتصر. ويحرص الناس اليوم على تعلم اللغة الإنجليزية لأنها لغة المنتصر.

ومن الأسباب أيضاً حب الناس لبعض اللغات لتعلقها بكتاب سماوي أو لتعلقها بدين جديد دخل في بلادهم وقلوبهم، كما أحب أهل البلاد المفتوحة اللغة العربية لحبهم للإسلام ولتعلقهم بكتاب الله المنزل من عند رب العالمين.

ولا ننس الحماس الوطني، سواء كان للوطن العربي أو للوطن الكبير وهو الإسلام، فالعرب مدفوعون إلى تعلم اللغة العربية بحماس وطني في الغالب، والمسلمون من غير العرب مدفوعون لتعلم هذه اللغة لأنها لغة وطنهم الكبير وهو الوطن الإسلامي.

<sup>16</sup> - "الحروب الصليبية"، عبد السلام سفاقي، بحث منشور على الإنترنت، منتديات ستار تايمز، بتاريخ 2012/11/2م.

ويبقى الحماس الديني أهم الدوافع التي تدفع المسلمين في شتى بقاع العالم إلى تعلم اللغة العربية. ولكن هذا الحماس لا يكفي لنشر هذه اللغة، كما أن الناس ليسوا سواء في هذا الحماس، فهناك من المسلمين في شتى أنحاء العالم وفي باكستان من ليس لديه الحماس الديني الكافي ليضحي بوقته ليتعلم اللغة العربية وإن لم يدفع شيئاً مقابل ذلك.

### تسويق اللغة العربية في عصر العولمة:

امتدت العولمة التي نعيشها اليوم إلى كل مجالات الحياة؛ الثقافية والاجتماعية واللغوية والاقتصادية وغيرها. وهذه العولمة جعلت من الثقافة والقيم وحتى اللغة سلعاً تجارية يتم تداولها لأغراض اقتصادية، وهذه الأهمية الاقتصادية تزداد يوماً بعد يوم حتى أصبح السوق -بالمفهوم الشامل- إلهاً جديداً.

وهذه العولمة تقوم اليوم على عدد قليل من الثقافات واللغات، وبصفة خاصة الإنجليزية والفرنسية، وتضمحل أمامها كل الثقافات واللغات القومية الأخرى للدول الصغيرة، ولا مكان لها في هذا العالم الجديد. والهدف من هذه العولمة هو تغيير أنماط حياة الناس والتحكم فيها لتصبح نسخة طبق الأصل من النمط الغربي، حتى يسهل قياد الناس إلى ما يريده أصحاب هذه العولمة، ومن مظاهرها ذلك التحكم الذي تمارسه مراكز القوى في العالم الغربي على العلوم والتقنيات، وهو ما يمكن أن نسميه بالاستعمار الثقافي، وهو يختلف في طبيعته وليس في أهدافه- عن الاستعمار العسكري.

ولا تنفصل عولمة الثقافة عن عولمة اللغة، لسبب بسيط وهو أن اللغات لا تكون مجردة، وإنما تحمل معها عقائد أصحابها وأفكارهم وقيمهم وثقافتهم بل وكيانهم كله. وهنا يتجلى الفرق بين اللغة الإنجليزية المرتبطة بمفاهيم التراث الغربي عبر تاريخه الطويل؛ الوثني والنصراني والعلماني، وبين اللغة العربية التي تحمل رسالة القرآن وجوامع كلم المصطفى صلى الله عليه وسلم والتراث الإسلامي العظيم.

وأصحاب كل لغة يرون أن لغتهم أفضل اللغات، وأنها هي التي تستحق دون غيرها أن تكون اللغة العالمية، فعلى سبيل المثال يرى الطبيب اليوناني الشهير جالينوس أن لغة اليونانيين أفضل اللغات، وسائر اللغات في رأيه تشبه نباح الكلاب أو نقيق الضفادع.<sup>17</sup> وفي مقابل كلام جالينوس عقد ابن فارس باباً تحت عنوان: "القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها"، وقال: "فلما حُصِّ اللسان العربي بالبيان، عُلِمَ أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه".<sup>18</sup> وأصحاب اللغة الإنجليزية اليوم يرون أنها أفضل اللغات، وأنها يجب أن تتربع على عرش العالم وتصبح اللغة العالمية الأولى بل الوحيدة، ويستندون في ذلك على قوتهم السياسية والاقتصادية والعسكرية. وإذا سلمنا جدلاً بوجود لغة عالمية على أساس الواقع، فإن ذلك لا يعني -في عرفنا على الأقل- القضاء على غيرها من اللغات، حيث يمكن أن تتعايش اللغات القوية مع الضعيفة على هذه البسيطة، مع ملاحظة أن ضعف اللغات لا يرجع بالضرورة إلى كونها ضعيفة في ذاتها، بل في الغالب إلى ضعف أصحابها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

نلاحظ انحساراً في استخدام اللغة العربية حتى في البلاد العربية نفسها، وهبوط نسبة إجادتها في الاتصالات العالمية بسبب الانبهار بالثقافة الغربية، وكأن العربية لا تفي بالغرض. يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم مدافعاً عن اللغة العربية:

<sup>17</sup> - "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، الجزء الأول، ص322-324.

<sup>18</sup> - "الصاحبي في فقه اللغة"، أبو الحسين بن أحمد، ابن فارس، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص7 وما بعدها.

رموني بعقم في الشباب وليتني عقلت فلم أجزع لقول عداتي  
أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

والعولمة ليست شراً كله كما هي ليست خيراً كله، فثمة آثار إيجابية لعولمة اليوم، فهي تمنح فرصة كبيرة لجعل كل شيء سلعة تجارية حتى اللغات - كما ذكرت سابقاً - واستغلالها اقتصادياً، لتحقيق أرباح مادية ومعنوية ودون تمييز بين لغة وأخرى. ويمكن تحقيق هذا المشروع بتشجيع الأبحاث العلمية اللغوية وتوجيهها لتكون دعاية لأية اللغة، ووسيلة لتيسير تعليمها وتعلمها، كما يتحقق بإعادة النظر في الطرق والوسائل المستخدمة في نشرها، وإيجاد الفرص لتحقيق منافع مادية للذين يتعلمونها تحفزهم على تعلمها والاقبال عليها. إن أغلب الذين يتعلمون العربية من غير الناطقين بها يقدمون عليها من منطلق ديني لنزول القرآن بها، بينما يتعلمها العرب في الغالب ليحققوا انتمائهم إلى المجتمعات العربية الناطقة بهذه اللغة. ولكن الاستناد إلى هذين السببين لتعلم اللغة العربية، وهما الدافع الديني والدافع الاجتماعي لا يكفيان إذا أردنا أن نحقق لهذه اللغة صفة العالمية، وأن ننشرها بين الناس على الأرض. وهذا الدافع يجعلان دارس هذه اللغة والمتخصص فيها - في ظل ظروف العولمة الحالية - يتعامل معها كسلعة غير تجارية، ونتيجة لذلك أصبحت وظيفة تدريسها غير محترمة في البلاد العربية وفي البلاد غير العربية، ومنها باكستان. من الآثار الإيجابية للعولمة إتاحة شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت) التي تتيح فرصة واسعة لتسويق اللغة العربية، ولكن هذا يعتمد على معرفتنا وإجادتنا لكيفية استغلال هذه الوسائل لتحقيق الأهداف المرجوة. وتعتمد الإفادة من هذه الوسائل على درجة التفاعل معها، وخبرة في عرض المعلومات، وإيصالها إلى الناس، ومهارة في تقديم الخطاب، وحرص شديد على متابعة تفاعل الجمهور غير المحدود مع هذا الخطاب من أجل تحقيق الفائدة الثقافية والمادية معاً. خلاصة القول إنه يجب علينا - في ظل الظروف العالمية الحالية - إتقان تسويق لغتنا العربية.

لا شك أن الارتقاء باللغة العربية إلى مستوى منافس للغة الإنجليزية أو الفرنسية في العالم الإسلامي تحد كبير ومكلف، بل ربما كان مستحيلاً في الوضع الراهن، فقد أصبحت اللغة الإنجليزية والفرنسية مؤسستان وليستا مجرد لغتين، فلم تعودا ملك دول بعينها.

إذا كانت اللغتين الإنجليزية والفرنسية لم تصلا إلى ما وصلتا إليه إلا بعد جهود جماعية جبارة، جهود مؤسسات كبرى ودول عظمى، فكذلك لا نستطيع أن نعيد للغة العربية مكانتها في العالم إلا إذا تكاتفت جهود المسلمين والعرب وخلصت النيات وشحذت الهمم.

### كيفية تسويق اللغة العربية في باكستان:

يجب أن نعترف أولاً بأن وضع اللغة العربية في باكستان متردي جداً، والمسؤولون عن هذا التردي كثيرون، على رأسهم أساتذة اللغة العربية والمسؤولون عنها في الجامعات والكليات والمدارس، فهم المسؤولون عنها قبل غيرهم. لذلك لا بد أن نعيد النظر في منظومة تدريس اللغة العربية على جميع المستويات من جديد، وعلى أسس جديدة تتناسق مع الظروف التي يمر بها العالم اليوم.

ومن المهم جداً ألا نتخرج من تعليم اللغة العربية بأجر، فهناك من يتخرج من تعليم القرآن واللغة العربية مقابل أجر مادي، وينسى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله". (رواه البخاري)

يجب أن نعلم أن الدافع الاقتصادي فوق الدوافع التجارية البحتة التي يرنو فيها الأفراد وأصحاب المصالح الخاصة من تحقيق أقصى الأرباح المالية بأقل جهد ممكن، أو بأقل رأس مال ممكن. الدافع الاقتصادي الذي أقصده يشمل هذا وكذلك يشمل تحقيق أرباح قومية بالنظر إلى المستقبل البعيد، كما تفعل الصين اليوم. وهذا يدفعنا إلى أن نبحث عن طرق وأشكال جديدة حول كيفية استثمار تعليم اللغة العربية للباكستانيين، ونتخذ الخطوات التي تضمن ذلك، وفي هذا الصدد لا بد من رعاية حكومية قصوى، وبدونها سيكون الأمر صعباً، ويمكن في هذا الصدد اتخاذ الخطوات التالية:

- جعل مادة اللغة العربية مادة إجبارية لكل المراحل الدراسية في المدارس الحكومية والأهلية من الصف الأول إلى الصف العاشر، كما كان رئيس جمهورية باكستان السابق الجنرال الراحل ضياء الحق يريد.
- إنشاء معاهد خاصة تتبع الجامعات الكبرى في باكستان لتعليم اللغة العربية لفئات الشعب المختلفة، وإقامة دورات خاصة لهم، ويفضل أن تكون مسائية تناسب تخصصاتهم وأوقاتهم، كأن تقام دورات للأطباء وأخرى للمهندسين وثالثة للمحاميين وهكذا، ويكون لكل دورة أو لكل فئة أو مجموعة منهج خاص، ومعلمين معدين لتدريس هذه الفئات كل بطريقة خاصة.
- كما يمكن تدريس اللغة العربية بالمراسلة، عن طريق برامج خاصة للتعليم عن بعد مقابل دفع مبلغ زهيد، كما تفعل بعض الجامعات الباكستانية لتدريس بعض العلوم الدينية باللغة الأردية.
- استغلال وسائل الإعلام وعلى رأسها القنوات التلفزيونية للدعاية لهذه اللغة، وتشويق الناس وتحبيبهم في تعلمها حتى يقبل الناس عليها حتى لو بذلوا لأجل ذلك بعضاً من أوقاتهم وأموالهم. خاصة ونحن نعيش في عصر للإعلام فيه أثر قوي على الناس.
- ويمكن تعليم اللغة العربية بالاتصال المباشر بين المعلم والمتعلم في أوقات خاصة عن طريق الشبكة الدولية (الانترنت) كما يدرس القراء الباكستانيون تجويد القرآن الكريم لمقيمين في أوروبا وأمريكا مقابل أجر.
- ويمكن إقامة برامج خاصة لتعليم اللغة العربية في أشرطة سمعية وبصرية للفئات العمرية والمهنية المختلفة، وبيعها للناس بعد عمل دعاية مناسبة تضمن أرباحاً لمعديها.
- إقامة اختبارات خاصة في اللغة العربية على غرار اختبار "توفل" باللغة الإنجليزية، يعطى من يجتاز هذا الاختبار شهادة يكون لها تقدير في تقييمه مثل الشهادات العلمية الأخرى.
- إعطاء علاوات تشجيعية لموظفي الحكومة والهيئات العلمية، مكافأة لهم على تعلم اللغة العربية في دورات خاصة تعد لذلك، تختم باختبار مستوى ينم عن إلمام الموظف بقدر من هذه اللغة.
- حث الباكستانيين الأثرياء أصحاب الحس الديني على الاستثمار في مجال تعليم اللغة العربية في باكستان.
- إدخال كلمات عربية بمعانيها في اللغة الأردية حتى تقترب من اللغة العربية، كما فعل الهندوس حين خطتوا لإدخال الكلمات الهندية القديمة في اللغة الأردية حتى استطاعوا تغيير معالمها.

### نتائج البحث وتوصياته:

- 1- توعية الشعب الباكستاني بأهمية اللغة العربية وأنها ضرورية لفهم الدين وخاصة القرآن والسنة.
- 2- ضرورة الاهتمام الرسمي بهذه اللغة بشتى الطرق والوسائل منها دعم المعاهد الخاصة التي تهتم بتعليم اللغة العربية للشعب الباكستاني على اختلاف فئاته، مع مراقبتها.

- 3- تقدير خريجي كليات اللغة العربية وأقسامها ومساواتهم بخريجي التخصصات الأخرى في فرص العمل والرواتب.
- 4- نهيب بدول الخليج خاصة أن تتمسك بهذه اللغة في تعاملاتها مع التجار من شتى بقاع العالم، وعدم التساهل في هذا الشأن وعدم النزوع إلى استخدام اللغات الأخرى وخاصة الإنجليزية إلا عند الضرورة، ليكون ذلك حافزاً للباكستانيين على تعلم هذه اللغة.
- 5- ندعو البلاد العربية إلى اتخاذ التدابير المناسبة التي تضمن رقي اللغة العربية الفصحى في بلادهم، حتى يقوى عزمنا نحن في البلاد غير الناطقة بالعربية على نشر الفصحى.
- 6- العمل على تعريب لغة الوسائل التقنية الحديثة، ورصد الميزانيات المناسبة لذلك.
- 7- إعداد معلمي اللغة العربية في باكستان والاهتمام بمستواهم. وإعداد مناهج ومقررات تناسب هذا الغرض الخاص وهو الغرض الاقتصادي، مع مراعات متغيرات العصر ومتطلباته.
- 8- التسويق التجاري لهذه اللغة لنضمن انتشارها في بلادنا، كما نسوق لأية سلعة مادية.

## المراجع

- 1- "الباكستانيون يقبلون على اللغة العربية لدوافع دينية"، مهيبوب خضر، مقال منشور على الشبكة الدولية في موقع "إسلام ويب".
- 2- "حاضر اللغة العربية"، د. مظهر معين، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، 2008م.
- 3- "الحروب الصليبية"، عبد السلام سفاقي، بحث منشور على الإنترنت، منتديات ستار تايمز، بتاريخ 2012/11/2م.
- 4- "الخط العربي وأثره الحضاري" د. محمد يوسف صديق، مقال منشور على الشبكة الدولية في موقع "نادي الإحياء العربي".
- 5- "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة"، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المجلد الأول، المكتب الإسلامي، ط4، 1398هـ.
- 6- "الشعر العربي في شبه القارة الهندية"، د. نبيل فولي، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، العدد 532، سبتمبر 2010م.
- 7- "الصاحبي في فقه اللغة"، أبو الحسين بن أحمد، ابن فارس، مكتبة مشكاة الإسلامية.
- 8- "فقه اللغة وسر العربية"، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الملقب بأبي منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.
- 9- "اللغة العربية في باكستان، دراسة وتاريخاً"، د. محمود محمد عبدالله، وزارة التعليم الفيدرالية بإسلام آباد، ط1، 1984م.
- 10- "اللغة العربية في الهند عبر العصور"، خورشيد أشرف إقبال الندوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2008م.
- 11- "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، الجزء الأول.
- 12- "المسالك والممالك"، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- 13- "المؤتمر العالمي الرابع في تعليم اللغة العربية وآدابها لأغراض خاصة"، الأجزاء الثلاثة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مايو 2013م.
- 14- "وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، الجزء الثالث، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1985م.